الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزراة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (ف1+ف2+ف3)

الحصة التطبيقية الثالثة عشرة:

رسالة الغفران والكوميديا الإلهية

الحصة التطبيقية 13

رسالة الغفران والكوميديا الإلهية

مقارنة بين غفران المعري و كوميديا دانتي :

يُقال إن واقعة التأثر تثبتُ بمجرد رصد ملامح التشابه التفصيلية التي يُستبعد أن تقوم على الصدفة حتى ولو لم نستطع كشف كيفية وطرق وقوع هذا التأثير بالوضوح الكافي إن نظرة سريعة على الكوميديا، ولا سيما في مضامين وصف الجحيم والجنة تؤكد مدى هذا التأثر؛ فإن وصف الكوميديا للجحيم والجنة كان منفقا، مع ما جاء في النصوص الإسلامية حول ذلك الموضوع تمام الاتفاق، ومخالفا لما جاء بالمسيحية هذا مفاهيم فأني لدانتي مثل التوافق في الوصف؟ إن كل ما ذكر يسوقنا إلى تعليل منطقي واحد، ألا وهو أن دانتي كان مطلعا بشكل واسع على الثقافة الإسلامية، ولم يكن منجزة بما فيه من تشابهات في القصص والتفاصيل مع الثقافة الإسلامية مجرد توارد خواطر وتشابه قوالب وحسبنا في هذا الصدد أن لا يكون هناك مانع مادي أو تاريخي حاسم يحول دون إمكانية وقوع هذا التأثير، أي أنه ما دام التاثير ممكنا، فإن براهينه تكمن حينئذ في تطابق المادة وتناظر الأصول والتفصيلات.

1. البناء والشكل :

فمن حيث البناء والشكل؛ إذا طفقنا في المقارنة بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية وجدنا أننا أمام رحلة للعالم الآخر تتميز بخلوها من الخوارق باستثناء الفكرة الأساسية للرحلة التي تقع في نطاق الخوارق والظاهر من ما ذكر أنَّ الرِّسالتين تتشابهان في البناء والجوهر، ولكن هذا النشابه قد يقل أو يزول أو يتنافر عندما تتوالى الصور. أما تأثير المعري على دانتي ؛ فهو واضح وضوح الشمس من خلال الفكرة الرئيسة التي حملها دانتي في كوميدياه، فقد تشابه البناء الهيكلي للكوميديا مع الهيكلي لرسالة الغفران لدرجة التطابق نجد المعري قد تجول في الجنة والنار عن طريق ابن القارح الذي كان أحد علماء عصره بينما نجد دانتي يتجول مع فيرجيليو وهو مؤلف الإنياذة، وهو من العلماء، كما نجد دانتي يحاور الشعراء والأدباء والفلاسفة ويحاججهم، تماما مثلما فعل المعري، وقد حاججهم على لسان ابن القارح.

صنف المعري الشعراء فأنزل بعضهم النار لشعر قد قاله في حياته أو أنزل آخر الجنة يستمتع بها لشعر قد قاله أو لحديث قاله الرسول (ﷺ) مثلما حدث مع امرئ القيس حين وصفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه يحمل لواء الشعراء في النار، ويفعل دانتي المثل عندما يصنف الأدباء والشعراء بعضهم

في الفردوس والبعض الآخر في الجحيم بناء على عمل قاموا به فربط العقاب بمقدار الذنب الذي ارتكبه الشخص ذكر المعري الملائكة والجن وإبليس، وفعل دانتي المثل فذكر العماليق والحفرة العميقة وأصواتها التي تهتز لها الأبدان كما أدخل المعري في رسالته وحواراته مع مختلف الشخصيات الأدبية والفلسفية مختلف العلوم اللغوية مثل النحو والصرف والعروض والسرقات والنحل والوضع؛ كما تطرق للعلوم الدينية والشرعية واعتمد في ذلك كله أسلوب الحوار والرمزية التي استخدمها بكل اقتدار و براعة قل نظيرها وقد تناول دانتي نفس الأسلوب الرمزي وتطرق لمختلف العلوم وحاور رجال الكنيسة واختلف معهم وتحدث عن المنافقين تماما كما فعل المعري والجدير بالذكر أن الكوميديا متناسقة البناء، مترابطة الأجزاء، يعتمد فيها السابق على اللاحق، وقد جعل دانتي الإنسان فيها مع الدنيا والآخرة والعالم والله في بؤرة واحدة، كما ألغى فوارق الزمان والمكان ومزج بين الأسطورة والتاريخ، وبين الواقع والخيال.

2. الأسلوب:

أما من جهة الأسلوب فرسالة الغفران رسالة نثرية تميزت بالغلق اللغوي، والبحث النحوي، وشيء من التكلف وهي تعتمد على اقتباس كثير، واستشهاد كثير واصطناع الأسلوب القصصي التعليمي الفكه محمولا على الخيال المبدع والسخرية اللاذعة، والاستقصاء الأدبي الجامع، هو أسلوبه في رسالة الغفران والتعقيد اللغوي هو الميزة الأسلوبية للمعرّي في رسالته، وهذا ليس بالجديد عليه، فهو يُعد زعيم. التصنع في زمنه ولعل التعقيد في اللغة عند المعري قد يكون توجها مقصودا؛ ليستر تحته ما يريد من غمر أو تهكم أو سخرية.

وفي رسالة الغفران معرض نادر الصور في التاريخ الفكري للسخرية العقلية من العقول المرقعة والسخرية جسر ممتد بين الواقع والمفترض، وبين المكاني الموحل، والزمني المصعد ولا شك أن هذه السِّخرية هي مظهر من مظاهر النقد التي يسلك بها طريقا خفية وباطنة ؛ ليتجلى موقفه من كثير من الأمور. ذلك أن أبا العلاء يسلك في هذه الرسالة إلى النقد مسلكا خفيًا، لا تكاد تبلغه الظُّنون.

أما الشعر فقد كان حاضرا في الرّسالة وهو يؤدي أدوارا مهمة في نسيج العمل، فمن جهة يقوم بوظيفة استعراضية للبطل تدعيما لبطولته القصصية، وإثباتا لتميزه عنا الأدباء الآخرين من أهل الجنَّة كما أنه مولد للسرد داخل كل المشاهد التي قام عليها النص كما انه يستخدم للتسلية واللهو في مجالس الجنة صناعة في شعره، وكلماته دقيقة مختارة، وأسلوبه موجز مركز والحقيقة أن تنوع الأساليب

وتداخلها ضمن النسيج السردي، جعل الكثير يحار في تجنيس الرسالة، ففي حين اتفق الجُلُّ على أنها ليست رسالة بالمعنى الاصطلاحي، عدها البعض قصة في حين عدها آخرون شكلا من أشكال الرواية ونزعت طائفة ثالثة إلى إدراجها تحت فن المسرحية بسبب غناها بالحوار والتقسيمات إلى مشاهد أما الكوميديا الإلهية لدانتي فتعتمد على لغة دقيقة محددة، لا زخرف ولا كما أن دانتي يجعل شعره فياضا بالحياة بالمفاجأة، والاقتراب التدريجي من الهدف، وبالضوء، واللون،والصوت والحركة والحوار واستخدم الاستعارة والتشبيه والرمز بفن عظيم.

3. الشخصيات:

والشخصية المركزية في رسالة الغفران وهي شخصية ابن القارح يستخدمها المعري ليجمع حولها الشخصيات الأخرى بسماتهم الإنسانية وعقلياتهم، ورواسبهم النفسية. والأمر ذاته في الكوميديا الإلهية حيث تلعب الشخصية الرئيسية، وهي شخصية دانتي نفسه دور الرابط بين كل الشخصيات، إذ يمر بها جميعا، ويصفها، ويعرض أحوالها، وقد يناقشها، أو يسعد لمصيرها أيا كان أو يشمت بعذابها، أو يمطرها بوابل سخريته.

4. الغرض :

ليس لرسالة الغفران غاية رمزية بعيدة سوى الدعوة إلى التوبة، وأن الله سوف يتقبلها لأنه غفور رحيم. أما في الكوميديا الإلهية لدانتي لها غاية رمزية، على المستوى الشخصي لكل إنسان، وعلى المستوى الاجتماعي والسياسي العام، فهو يريد أن يقول فلورنسا يجب أن تعاقب المنحرفين فيها من كل الطبقات حتى تتمكن من التطهر وارتقاء سلم المجد الغرض الرئيسي من رسالة أبي العلاء هو غرض ذاتي هو إجراء لون من ألوان النقد الأدبي واللغوي بالإضافة إلى هدف آخر ثانوي هو مقاومة الفكرة السائدة لدى العلماء في عصره الذين يضيقون فسحة الدين واستبدلها بفكرة أخرى وهي أن رحمة الله وسعت كل شيء.

أما في الكوميديا الإلهية فهي مساحة تتسع للأسطورة والكون والوجود، ولا تقتصر على الأفكار اللغوية والأدبية بل تشمل جملة معارف كما أنها جمعت بين الشعر والخيال والفلسفة والواقع، كل ذلك في جو إنساني رفيع سجل به مانحس به الإنسانية من طموح و يأس وشقاء و اضطراب، وألم و ندم.

مما سبق تقديمه يمكننا القول أن الأشكال الأدبية المتنوعة تدعم بعضها البعض عبر التواصل بطرق شتى مما يخلق نوعا من التأثير والتأثر ينتج عنه عصارة إبداعية بين أصالة العمل الأصلي وبين تجديد ومعاصرة العمل الجديد.

المراجع المعتمدة:

1. صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر ط2، 1985م
2. دانتي، الكوميديا الإلهية، الجحيم، تر: حسن عثمان، دار المعارف، القاهرة، ط2، 2002م
3. دانتي، الكوميديا الإلهية، المقدمة، تر: حناعبود، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 2002م
4. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط1
5. المعري، رسالة الغفران، تح: عائشة عبد الرحمان، دار المعارف القاهرة، ط9، 1977م